نحن والمجتمع

الرئيس الشهيد الصماد... مهندس النصر اليمني

الوفاق/ خاص - لم يكن يوم ١٩ نيسان/ أبريل عام ٢٠١٨ إلا فاتحة مرحلة جديدة من المواجهة، وصلت ذروتها بعد ٤ سنوات، حين غلبت على وسائل الإعلام العالمية مشاهد النيران في العمق السعودي والاماراتي وفي أكثر المنشآت إيلاماً، معترفة أنّ مَن شلّ المشاريع الممولة للحرب هي طائرات الصماد "الذي لم يمت".

الصماد القائد التوافقي

تميّز الشهيد الرئيس في مرحلة العدوان بحضوره الأبرز تحشيداً للشعب، وتطويراً للقدرات والإمكانات الرسمية للدولة نهوضاً بها للتصدي للعدوان، توازياً مع تفانيه في خدمة الشعب، وسعيه الدؤوب لتوحيد الصف الداخلي، إذ كان يملك قدرة فائقة في لملمة الفرقاء وإيجاد الحلول للتقارب وتوحيد الجهود باتجاه التصدي للعدوان، ما جعله هدفاً أساسياً للاستهداف من العدوّ إذ شكّل خطراً كبيراً عليه .

المسؤول الأول.. رئاسة الدولة

كان الرئيس الصماد نموذجاً رائداً في تحمّل المسؤولية، مسؤولية الرجل الأول في رئاسة البلد، ذلك المنصب الذي جاء إليه دون سعياً منه ، بل تقلده بعد إلحاح شديد بدافع استشعاره للمسئوليّة من منطلقه الإيماني ، لذلك تميّز بالاهتمام بعمله وبنشاطه الدؤوب خدمةً لشعبه الذي عرف عنه سعة صدره رغم ما واجهه - بحكم مسئوليته الكبيرة - في الكثير من التحديات والصعوبات والمشاكل وتحمّل الكثير من الهموم؛ علاوةً على ما واجه من لوم وانتقاد وإساءات. أدرك الشهيد الرئيس عظمة مسئوليته فانطلق بها باذلاً كل ما بوسعه وما لا يستطيع عليه أي مسؤول في التحرّك الجاد والعقلانيّ للنهوض بشعبه لتحقيق خطواتٍ عملاقة رسّخت المعنى الحقيقي لرجل الدولة .

ففي مرحلة رئاسته للدولة، كان الرجل المثالي المتجرّد من تبعات الانبهار بالمنصب والركون عليه واستثماره مادياً ومعنوياً، بل رحل عنه وهو لم يملك حتى بيتاً، أو يتخذ لنفسه استثماراً مهما كان صغيراً ، كما فعل من وصلوا للمنصب قبله نهباً لأموال الشعب، وامتلاكاً لمدن وشركات تجارية استثمارية ، وعمّروا القصور، وخرجوا من مناصبهم يحملون الخزي والعار والأوزار الكبيرة جرّاء ظلمهم لشعبهم الذي أفقروه ونهبوا ثرواته .

عملية الاغتيال

بعد أعوام من المطاردة والملاحقة، ووضعه في مرتبة "المطلوب الثاني"، وتخصيص جائزة مقدارها ٢٠ مليون دولار لمن يدلي بمعلومات عنه، تمكّن التحالف السعودي ضدّ اليمن من اغتيال الرئيس الصمّاد، في ١٩ نيسان/ أبريل ٢٠١٨، وذلك بُعيد انتهائه من لقاء مكشوف ومعلن، عقده مع السلطات المحلّية في محافظة الحديدة، حيث ألقى خطاباً مفصلياً من عمق المحافظات الجنوبية، التي يراهن عليها التحالف ويسعى لضرب بيئتها، بعد أن أزّم الأوضاع الإنسانية والاقتصادية فيها، كنوع من الضغط كي يحظى ببعض ما عجز ويعجز عنه في الجبهات.

لبنان وإيران: العلاقة حول محور الدين

الوفاق/ خاص
عبير شمص

يبدو أن الأرض منذ أقدم الأيام كانت مسرحاً لجولات من التواصل والقطيعة بين الشعوب التي تسكنها، وبخاصّة تلك الشعوب التي تسكن قطعاً متجاورةً منها . ومن الشعوب التي جمعها عبر التاريخ جوار ومصالح مشتركة أحياناً، أو متضاربة أحياناً أخرى، من يُعرف اليوم بالعرب والإيرانيين. ستتناول هذه المقالة العلاقة الشعبية بين الشيعة اللبنانيين والشعب الإيراني، التي يجمعها الدافع الديني العام والمذهبي الخاص، أمّا الدافع الديني فمن الواضح أن الإسلام هو الجامع المشترك الأهم بين الشعبين، وقد ترك هذا الأمر أثره ليس على العلاقة مع شيعة لبنان فحسب، بل على المسلمين في العالم الإسلامي بأسره.

رحلات علمية عاملية

إنطلق علماء جبل عامل، يحملون أفكارهم إلى مناطق بعيدة في العالم الإسلامي، وأتت هجراتهم، نتيجة عوامل متعددة، أبرزها الإضطهاد الذي عانوه، في عهد المماليك، ومن ثم ممارسات القمع، سيّما في عهد الجزار، أو أسباب تحصيل العلم غير المتوفر في أرضهم، وبالتالي زحفوا نحو العديد من الأقطار،طمعاً لكسب العلوم، فتأثّروا بالمكان الذي هاجروا إليه وأثّروا فيه، وبدأت تتوضح معالم نهضتهم الفكرية، حتى بلغوا رقياً بالغاً، إستمدوه من خلال دراستهم في أصول المعتقد، وكان لميزة فتح باب الإجتهاد لديهم، عكس بعض الفرق الدينية، أن إنتشرت افكارهم السياسية والثقافية، فكان منهم أول من إستنبط فكرة ولاية الفقيه من مصادر التشريع الديني، التي تستند إلى ولاية الحاكم الشرعي المجتهد، انسجاماً منهم مع التمسك بولاية الأئمة، والعودة إلى منهجهم في أحكام الحكم السياسي والديني، والإستمرارية له.

قامت علاقات متميّزة بين جبل عامل وعموم الأقطار الشيعية، حلّ فيها الطابع العلمي، بكل قوّة، لأن العامليين لم يكتفوا من علومهم المحلية، فتطلعوا إلى ما وراء حدودهم، بل توسّعوا إلى أبعد منها، علّهم ينهلوا من مناهل تلك العلوم وما طرأ عليها من تحديث، نظراً لوجود المرجعيات والمراكز العلمية الدينية فيها، أبرزها العراق وإيران، وما ضمّت من حواضر علمية تندرج ضمن نفس التوجه العقائدي لشيعة لبنان، مع ما تيسّر من حرية العمل الديني، مقابل انعدامها في أرجاء جبل عامل.

حلّ العامليون في مناطق الخصب الفكري، فالأماكن التي رحلوا إليها طلباً للعلم "كانت حواضر فكريّة ومراكز إشعاع منتشرة في العراق وإيران والهند وحيدر آباد ومصر" ، فأفادوا فيها واستفادوا منها، إضافة إلى نشوء علاقات في القربى من حيث الزواج والتزويج، فنشأت المصاهرة، وتوثقت العلاقات، حتى أخذت في منحى ما، صِلات رَحمية وقرابة نَسَبيّة.

إيران ولبنان... علاقة تاريخية وثيقة

علاقة شيعة لبنان مع إيران تعود إلى بداية القرن السادس عشر، أي إلى عهد المملكة الصفويّة، وذلك عندما ساهم علماء الدين الشيعة في نشر العقيدة الشيعيّة التي تحولت مذهباً رسمياً للدولة الصفويّة في عهد الشاه إسماعيل عام ١٥٠١، حيث أدى التعاون ما بين رجال الدين اللبنانيين والحكم الصفوي، إلى تطوّر صلة وثيقة بين الدولة الشيعية، والطائفة الشيعية في جبل عامل في جنوب لبنان، والذي كان خاضعاً للحكم العثماني السنّي المعادي.

وقد سطعت شهرة جبل عامل في القرون الخمسة المتأخرة، بعد أن خرج منه علماء وأدباء ذاع صيتهم، خصوصاً في العراق، وبلاد فارس. فكان اهل هذع البلاد يحترمونهم احتراماً فائقاً، ولا يكاد يجد المرء كتاباً من كتب الشيعة إلا وذكر فيه عدة علماء من جبل عامل، حتى أصبح تاريخ الشيعة في لبنان جزء لا يتجزأ من تاريخ الشيعة في العالم، أثّروا فيه وتأثروا به، سلباً أو إيجاباً، خاصة مع وضع الشهيد الأول كتاب "اللمعة الدمشقية" الذي أصبح مادة دراسية أساسية في الحوزات العلمية الدينية التي تعد العلماء والفقهاء، ومع نشوء الدولة الصفوية(١٥٠٠) حيث لعب علماء وفقهاء جبل عامل، دوراً كبيراً جداً في نشر التشيع في بلاد فارس.

نشر التشيع والتحصيل العلمي

هناك عدة أسباب لهجرة هؤلاء العلماء إلى إيران وأهمها: الدوافع الإقتصادية والدوافع الدينية والدوافع السياسية والأمنية، ولكن أبرزها الدافع الديني من الرغبة في اغتنام الفرصة لنشر تعاليم المذهب الشيعيّ في بلد توفّرت فيه الظروف السياسيّة المساعدة على هذا العمل.

من جملة الأسباب الدافعة للهجرة إلى تلك البلاد، السعي إلى التحصيل العلمي المتوفّر في تلك البقاع، والهروب من القتل والتعذيب، لما تعرّض له شيعة لبنان، في فترات متلاحقة، من الحكم المملوكي والعثماني، الذي أعلن العداء للتشيّع الإثني عشري، نتيجة تجربته مع الصفويين في إيران، في حين انعكس ذلك، أثناء حكم الجزار على أهل جبل عامل، حينما شدد الوطأة عليهم، فحبس الكثير من علمائهم ووجهائهم في عكا، وقتل منهم العديد بعد التعذيب ونهب الأموال، وصادر العقارات والمزارع والأراضي، ونهب وأحرق كثيراً من كتب العلم، ما دفع بالآخرين، ممن لم تنلهم مخالب الجزار، إلى الهروب نحو العراق والهند وبلاد إيران، وقد هرب بعضهم إلى دمشق وبلاد بعلبك، واختفى من اختفى وتشرد أمراء البلاد خوفاً على أنفسهم، إضافةً لذلك، كان لقيام حملات الإعتقال الفرنسية التي استهدفت أبناء جبل عامل، الدافع الإضافي للفرار إلى خارج الحدود.

> سوتيتر: إنطلق علماء جبل عامل، يحملون أفكارهم إلى مناطق بعيدة في العالم الإسلامي، وأتت هجراتهم، نتيجة عوامل متعددة، أبرزها الإضطهاد الذي عانوه، في عهد المماليك، ومن ثم ممارسات القمع، سيّما في عهد الجزار، أو أسباب تحصيل العلم غير المتوفر في أرضهم، وبالتالي زحفوا نحو العديد من الأقطار،طمعاً لكسب العلوم، فتأثّروا بالمكان الذي هاجروا إليه وأثّروا فيه.

آثار الهجرة العاملية إلى إيران

لا تزال آثار الهجرة العاملية إلى إيران قائمة إلى اليوم، فما تزال بعض العائلات مقيمة فيها، مع استحصالها على جنسيّتها، إضافة الى العديد من المشاهد العمرانية، أهمّها ما بناه الشيخ البهائي العاملي من عجائب هندسيّة عديدة، منها مأذنتين في أصفهان تميّزتا بهندسة فائقة الإبداع، وإنارة شمعة صغيرة لا تنطفئ، باعثةً حرارة هائلة، تزوّد مدينة أصفهان بالمياه الساخنة، بالإضافة إلى أضرحة ومدافن لشخصيات عاملية، من بينها ضريح الشيخ البهائي في الحرم الرضوي المقدس، مع عدد كبير من مؤلفاتهم باللغتين العربية والفارسية.

في القرن التاسع عشر بدأت عائلات إيرانية بالاستقرار في المناطق الشيعيّة في جبشيت والنبطية، ثم أتت عائلات أخرى في مطلع القرن العشرين عملت في التجارة وزراعة التبغ. وثمة من يقول إنّ طقوس عاشوراء في النبطية بدأت في الفترة التي أقام فيها الإيرانيون هناك.

كما جذبت بيروت كمركز علميّ وثقافيّ طلبة إيرانيّين أتوا إليها في منتصف القرن الماضي للتعلّم في جامعاتها. هذا علماً بأنّ شيعة لبنان لم ينقطعوا عن زيارة المراكز والمقامات الدينية في إيران، ولا عن طلب العلم سواء في الجامعات أو في الحوزات الدينيّة، ولا عن تقليد بعض المرجعيّات الدينيّة مثل السيّد البروجردي، والسيّد الشاهرودي، والشيخ النائيني، والسيّد الكلبايكاني.

كتب تاريخية

سيرة القائد الراحل العلامة سماحة الشيخ عبد الأمير الجمري

«نسيج الحصارات»

الوفاق/ خاص

يتكلم الكتاب عن الحصارات (الإقامات الجبرية) التي نفذتها السلطات الخليفية على منزل القائد الراحل العلامة والأب سماحة الشيخ عبد الأمير الجمري في انتفاضة الكرامة أيّ منتصف التسعينات من القرن الماضيّ. بغيّة منعه من الالتقاء بالشعب، وتقييد عملهُ السياسي المناوئ للديكتاتورية الخليفية آنذاك، كما يتكلم الكتاب عن محطات هامّة عاصرها سماحة الأب الشيخ عبد الأمير الجمري في حياته.

يتحدث كتاب عن "نسيج الحِصارات" عن سيرة الشيخ عبد الأمير منصور الجمري للروائي والفوتوغرافي والكاتب حسين المحروس، صدرت هذه السيرة في ٢٠٢٠ وهي تروي حكاية الشيخ الجمري عبر موضوع الحِصارات(الإقامات الجبرية) التي نفذتها السلطات الخليفية على منزل القائد الراحل العلامة سماحة الشيخ عبد الأمير الجمري في انتفاضة الكرامة أيّ منتصف التسعينات من القرن الماضيّ. بغيّة منعهُ من الالتقاء بالشعب، وتقييد عملهُ السياسي المناوئ للديكتاتورية الخليفية آنذاك، كما يتكلم الكتاب عن محطات هامّة عاصرها سماحة الأب الشيخ عبد الأمير الجمري في حياته.

مرّ الشيخ الجمري بحِصاراتٍ كثيرة، وقد استلهم الكاتب من هذه الحِصارات عناوين فصول هذه السيرة، من الحِصار الأول الذي كان في شهر أبريل ١٩٩٥ وكانت مدّته ١٥ يوماً، إلى الحِصار الثاني في العام نفسه ١٩٩٥ ومدته يوم ونصف اليوم، ثم الحِصار الثالث ومدّته سبعة أيام في شهر يناير من العام ١٩٩٦، ثم الحِصار الرابع الذي استمرّ سنة وسبعة أشهر من العام ١٩٩٩ حتى العام ٢٠٠١، والحِصار الأخير هو حِصار المرض في العام ٢٠٠٠ إلى ٢٠٠٦.

تُشكّل هذه الحِصارات مفاصل في سيرة الشيخ الجمري، يروي لنا الكاتب أحداث هذه الحِصارات من زاوية بيت الشيخ حيث بؤرة السرد، ومن خلال هذا البيت يُطلّ علينا السارِد بما يحدث في هذا البيت، ويسترجع سيرة الشيخ الطويلة من ولادته إلى نشأته بين النسَّاجين في بني جمرة إلى دروسه الدينية، ومن ثم انتقاله إلى النجف وترشّحه للبرلمان في ١٩٧٣ إلى تسلّمه وظيفة القضاء في الثمانينات، ومشاركته بعد ذلك في العريضة الشعبية والعريضة النخبوية في التسعينات وقيادته ثورة الكرامة في التسعينات، وصولاً إلى الميثاق ودخول الشيخ في حال الغيبوبة والمرض.

مَن هو الراوي العليم بتفاصيل الحياة في البيت وحِصاراته؟ هي سيّدة البيت أمّ جميل، زهراء حفيدة الملّا عطية الجمري الذي صاغ بشعره مُخيّلتنا الكربلائية، أمّ جميل سيّدة الرواية في هذه السيرة، تُخبرنا بما يحدث في هذا الحِصار وكيف واجهته العائلة، والحال النفسية للعائلة خلال هذه الحِصارات، تروي الدقائق من حياة الشيخ الجمري، وتروي لنا أنفاسه في هذا الحِصار والحال الإنسانية التي مرّت بها هذه العائلة، والمِحنة التي خاضتها من خلال هذه الحِصارات، وتروي لنا شيئاً آخر هو تاريخ هذه الحِصارات، لماذا هذا الحِصار على بيت الشيخ الجمري؟ ماذا قدّمت هذه العائلة؟ ما سرّ هذا البلاء؟ وهذه المِحنة وهذه الحِصارات؟ ولماذا تلاحق أجداد هذه العائلة المِحَن والحِصارات والهجرات؟

في هذا السرد الرائع والمُمتع، يتكشّف لنا نسيجٌ آخر، ليس نسيج الحِصار فقط، إنما نسيج التاريخ الذي أنتج هذه الحِصارات، وأعني به نسيج تاريخ الاضطهاد والنضال والمِحنة التي مرّ بها شعب البحرين منذ العشرينات وما قبلها من السبعينات والثمانينات والتسعينات. هناك أحداث في غاية الأهمية وقعت في البحرين وهي تمثّل نسيجاً واحداً، لأنها تنتمي إلى عقدةٍ واحدةٍ قد نُسِجَت منذ عهد عيسى بن علي الذي استمرّ منذ العام ١٨٦٩ إلى العام ١٩٢٣ وهو العام الذي عُزِل فيه بالقوّة البريطانية. هذا وتمتدّ سيرة الشيخ الجمري في هذا الكتاب إلى مناطق عميقة، جديرة بالاهتمام، فالعائلة مُركّبة أيضاً من حِصارات، مَن يروي لنا هذا التاريخ هي أمّ جميل التي كانت تنسج حكاية هذه الحِصارات، كانت تفسّر لنا سبب هذا الحِصار بأنه امتداد لهذه الحِصارات، كانت تقوم بحَبْك التاريخ البعيد لكي نفهم هذا التاريخ القريب، وهي تربط اللاحق من الحِصار بالسابق من الهجرة.

> يتضمن هذا الكتاب سيرة الشيخ عبدالأمير الجمري، ترويها زوجته أم جميل، زهراء بنت يوسف ملا عطية، من خلال الحِصارات التي ضُربت على بيته في فترة التسعينيات من القرن الماضي